جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

المادة : نظرية الأدب

المرحلة : دكتوراه أدب

عنوان المحاضرة

نظريتا الانعكاس والايديولوجيا

أ.د. نرجس خلف أسعد

نظريتا الانعكاس والايديولوجيا

تعد نظرية (الانعكاس) المنبع الأول لعمل الأديب عند الماركسيين ، وضربوا بهذه النظرية جميع الاتجاهات الأدبية المثالية ، يقول انجلز في صدد هذه النظرية : " إن روائع الأعمال تعبر جميعها عن رأي في الوجود ، وتترجم عن مواقف معينة حيال النظام الاجتماعي القائم ، وعن نقد وأمل واتجاه ، ولكن ذلك الاتجاه متولد من العمل الفني نفسه في كونه صورة للحقيقة ، اذ ليس للمؤلف أن يتدخل ليملي حكمه أو يفرضه ، لأن الوقائع التي جاء بها لا تحتاج إلى شفيع قط " وربطت نظرية الانعكاس بين الأدب والفن واشكال المعرفة المستمدة من الواقع ، وأنهما (الأدب والفن) انعكاس للواقع الموضوعي وبالتالي وسيلة من وسائل المعرفة ، يقول بليخانوف " ليس صحيحاً أن الفن يعبر عن مشاعر الناس وعواطفهم وحدها ، كلا أنه يعبر عن عواطفهم وافكارهم معاً ، يعبر عنها لا على نحو مجرد وإنما بالصور" .

وتصدى (بيلنسكي) 1811- 1848 لدحض نظرية الفن وقال :" يتضح الخطأ الذي يقترفه أولئك الحكام النظريون على الجمال الذين يريدون أن يروا في الفن عالماً منعزلاً تماماً ، ذا وجود مستقل عن دوائر الوعي الأخرى وعن التاريخ " ويؤكد بيلنسكي على أهمية الرواية في الأدب :" وملحمة عصرنا هي الرواية ، ففي الرواية كل السمات الجنسية والجوهرية للشعر الملحمي مع هذا الفارق الوحيد ، هو أنه تسود في الرواية عناصر وصفية اخرى . هنا لا نرى الابعاد الخرافية للحياة البطولية بل ظواهر الحياة العادية التي تنتظم النموذج العام "

واهتم (ماوتسي تونغ) بالأدب والفن في النضال وانجاز التحرر الوطني وحدد دور الأدب في المجتمع وضرورة اندماجه مع الشعب واعتماده على المادية الدياليكتيكية ، قال : " إن الأعمال الأدبية بوصفها اشكالاً ايديولوجية هي منتجات لانعكاس حياة الشعب في عقول الكتاب والفنانين الثوريين ، إن حياة الشعب هي دائماً بالنسبة للأدب والفن منجم من المواد الخام "

آمن (مكسيم غوركي) بنظرية الانعكاس ، وهو الذي ارسى دعائم الواقعية الاشتراكية حينما اصدر روايته (الأم) عن ثورة 1905 في روسيا ، وغدا أول رئيس لاتحاد الأدباء والكتاب السوفيت بعد نشوب الثورة البولشفية في روسيا عام 1917 . غير أن غوركي ناضل من أجل ضمان أكبر قدر من الحرية للأدباء من خلال حواراته مع (لينين) والتي سببت عداءً مستحكماً بينهما بعد ذلك ، ولكنه لان وخضع لتوجيهات ستالين دون أن يفقد مرونته وتفتحه .

وقد ارست نظرية الانعكاس البعد الواقعي للأدب والفن ، والايمان بمستقبل الشعوب والطبقة العاملة والالتزام بقضاياها وخدمة أهدافها ، ويعبر البطل الروائي عن رؤية اجتماعية واعية ومشاركة الأدب في الأحداث التي تجري والخوض فيها وتبني شعاراتها ، ويرجع هذا الموقف إلى الدور الذي يلعبونه في الحياة وإلى مساهمتهم الفعالة العملية في مشاكل شعوبهم ، وفي المعارك التي تخوضها هذه الشعوب ، لأن الأدب نتاج اجتماعي ، والأديب نفسه وليد البيئة وترعرع في احضانها ، ويستمد الأديب مشاعره وخياله ومزاجه وأفكاره من واقع المجتمع الذي نشأ فيه ، لأنه وليد المجتمع الذي أثر فيه ليعود هو فيؤثر بدوره في هذا المجتمع عن طريق الكتابة ، وقد أفرد الأديب بذلك نظرته إلى العالم وما يعتمل في نفسه من صراع ضد أعداء الحياة ، أعداء الشعب الذي ينتمي .

وارتبطت نظرية الانعكاس بفكرة **(الايديولوجيا)** : وهي الالتزام بالتجارب الانسانية فيما يتصل بالتطلعات التي تحتضن مشاعر أكبر عدد من بني الانسان دون الانكماش في تجارب فردية تلتصق بالأنا . وقد أكد الماركسيون (ماوتسي تونغ وناظم حكمت) على ضرورة المحتوى الثوري مشفوعاً بصياغة جمالية فائقة وانكار الانفصال بين المعيارين الجمالي والسياسي ، ويعد (فريمان) الفنان الايديولوجي : ذلك الفرد الذي يتمتع بخصيصة في الحس والذهن والعواطف والصور والموهبة ، اللغوية ، وعبر (سارتر) في دفاعه عن الأدب ، بأن الأدب الملتزم يرى أن تناسق الكلمات وجمالها وتوازن جملها تهيئ عواطف القارئ دون أن يلتجئ لها وينظمها كالقداس والموسيقى ، فإذا اعتبرها لوحدها وبذاتها اضاع المعنى ولم يبقَ منها إلا تأرجحات مملة . وقد نظر علماء الاجتماع إلى الكاتب على أنه

انسان يمارس حرفة معينة وإلى العمل الأدبي على أنه وسيلة للاتصال ، أي سلعة ثقافية ، وإلى القارئ على أنه مستهلك لتلك السلعة الثقافية بشكل أو بآخر ، ويرى جان بول سارتر في كتابه (ماهو الأدب): " إن العمل الأدبي الذي هو نتاج مكتوب للفكر لن يكون له وجود واقعي إلا حين يُقرأ بالفعل " . وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار الظاهرة الأدبية مجرد حصيلة للفن نفسه وإنما هي لقاء أو تقابل بين الانتاج والاستهلاك ، بكل ما يقتضيه هذان الفعلان من نتائج وآثار على العلاقات الاجتماعية والاخلاقية ولا بد من وجود كاتب بالنسبة للقارئ ، وقارئ بالنسبة للكاتب . وهذا يؤدي إلى نتيجة مفادها أن من الخطورة اخضاع النتاج العقلي المكتوب للمحكات الجمالية وحدها واغفال غيرها من المحكات الثقافية والاجتماعية والاخلاقية ، خاصة وأن أداة الأدب هي اللغة والكتابة وهما اداتان اجتماعيتان .

اهتمت نظرية الانعكاس بالواقع اهتماماً كبيراً . فالنموذج الجمالي للعمليات التاريخية الجوهرية للحركة في المؤلفات الأدبية ، لا ينشأ من حيث المبدأ بدون تحويل ابداعي لما عاشه الكاتب عيشة مباشرة ، وبدون مراعاة التجربة العميقة المدركة المهمة تاريخياً ،هنا يكمن جوهر القضية .

<u>نظرية لوكاتش</u>

بلور (لوكاتش) الواقعية الاشتراكية كمذهب في الأدب والفن عموماً مستنداً إلى رؤية فلسفية خاصة به ، تبلورت عن فهم خاص للماركسية تمشياً مع ظروف ما بين الحربين ، والمد الفاشي ، وتراجع الثورة في العالم تبلور كل ذلك عند لوكاتش في كتابه (الرؤيا للعالم) .

درس لوكاتش (نظرية الرواية) 1916 في علاقتها الجدلية مع ماضي وحاضر المجتمع البرجوازي الذي ظهرت فيه . وركز لوكاتش على الصراع بين اخلاقية الذات واخلاقية المؤسسات والبنى الاجتماعية ، وأوضح بأن الصراع يدور بين الفكر الموضوعي ومتطلبات الفكر المطلق ، ووجد لوكاتش أن فشل البطل الروائي في مرحلة المثالية المجردة لتحقيق قيمه الأصيلة ، ادى إلى شكل ثانٍ من الفشل في مرحلة الرواية النفسية ، فقد ظهر صراع آخر بين النفس والواقع

الخارجي ، ويرجع عدم التوازن إلى كون النفس عريضة وشاملة أكثر من كل ما يمكن للحياة الخارجية أن تقدم لها ، أدى هذا الفشل في تغيير العالم بالأدباء غلى خلق حياة داخلية تكفي نفسها بنفسها ، ولم يبقى صراع ، وإنما اكتفت النفس بعالمها الداخلي وحولت العالم الخارجي إلى مجموعة مصغرة لا قيمة لها ، لا يلعب الفرد أية قيمة في العالم الخارجي وإنما ينطوي على ذاتيته مسروراً بها .

تعد الروايـة في نظر لوكاتش تعبيراً نموذجياً للنظام الرأسمالي الذي ابرزت معظم تناقضاته في شكلها الفني ، وارجع اغتراب (البطل) الى التناقض الحقيقي داخل المجتمع الرأسمالي ، وأن الرواية ظهرت تحت ضغط الصراع الأيديولوجي للبرجوازية الناشئة ، وربط لوكاتش تطور الرواية بتطور النظام الرأسمالي ، ويقسم لوكاتش تاريخ تطور الرواية إلى خمسة مراحل : –

1- ولادة الرواية : ظهرت مع قيام المجتمع الرأسمالي فقد انصب نضال (سرفانتس) في روايته (دون كيشوت) ضد استعباد الانسان في القرون الوسطى ، وتمثل الحركة الفردية المثل الأعلى لهم . ومع ظهور تناقضات المجتمع البرجوازي ، اضطر الروائيون إلى خوض صراع ضد عبودية الانسان في المجتمع الاقطاعي ، وضد تدهور الانسان في المجتمع الجديد .
2- غزو الواقع اليومي : فقد اصبحت الاحداث والطبائع أكثر واقعية ومحدودية بعد أن سيطرت البرجوازية وحرصت على رسم طموحاتها في خلق بطل ايجابي ينتمي الى طبقتها .
3- برزت تناقضات المجتمع البرجوازي ، ووضعت الثورة الفرنسية حداً للأوهام البطولية لمنظري الطبقة الرأسمالية .
4- الطبيعة وزوال الشكل الروائي : وتمثل هذه الفترة شيخوخة الايديولوجية البرجوازية ، حيث ابتعد الروائيون عن النماذج الفردية واستبدلوها بالرجل المتوسط وبوصفيات متوسطة ونهائية واستعملوا الوصف والتحليل عوضاً عن السرد . ويوضح نقد (زولا) لـ (بلزاك وستندال) ملامح هذا الاتجاه عبر تناقضات متتالية ومواقف مختلفة إلى اكتشاف شكل جديد للرواية .

5- آفاق الواقعية الاشتراكية : اعطت الروح الجماعية للنضال والتضامن القوي في المجابهة نفساً جديداً للرواية حيث خلقت (البطل) الذي لا تتناقض مصالحه مع مصالح المجتمع .